

أضواء البيان

@ 445 على الذين يتولوا وانه { ، وقوله : { إن عبادي لايأس لك
عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين } فالاستثناء يدل على أن
له سلطاناً على من اتبعه من الغاوين : مع أنه نفى عنه السلطان عليهم في آيات أخر .
قوله : { ولقد صدقوا عليهم إلا ليس طائفة فاتبعوه إلا
فريقاً من الأمم ومن بين وما كان له عليهم من سلطان } . .
وقوله تعالى حاكياً عنه مقرراً له : { فأخلفتمكم وما كان لي عليكم
من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي } . .
فالجواب هو : أن السلطان الذي أثبت له عليهم غير السلطان الذي نفاه ، وذلك من وجهين
:

الأول أن السلطان المثبت له هو سلطان إضلاله لهم بتزيينه ، والسلطان المنفي هو سلطان
الحجة . فلم يكن لإبليس عليهم من حجة يتسلط بها ، غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا
برهان . وإطلاق السلطان على البرهان كثير في القرآن . .
الثاني أن لم يجعل له عليهم سلطاناً ابتداء البتة ، ولكنهم هم الذين سلطوه على
أنفسهم بطاعته ودخولهم في حزبه ، فلم يتسلط عليهم بقوة . لأن يقول : { إن كيد
الشيطان كان ضعيفاً } . وإنما تسلط عليهم بإرادتهم واختيارهم . .
ذكر هذا الجواب بوجهيه العلامة ابن القيم رحمه الله . وقد بينا هذا في كتابنا (دفع
إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) . قوله تعالى : { وإذ قالوا إنهم لآيات الله مكران
آيات الله وألله أعلم بما يفترون } . قوله تعالى : { وإذ قالوا إنهم لآيات الله مكران
أكثرهم لا يعلمون } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه إذا بدل آية
مكان آية ، بأن نسخ آية أو أنساها ، وأتى بخير منها أو مثلها أن الكفار يجعلون ذلك
سبباً للطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم . بادعاء أنه كاذب على الله ، مفتر عليه . زعماء
منهم أن نسخ الآية بالآية يلزمه البداء ، وهو الرأي المجدد ، وأن ذلك مستحيل على الله .
فيفهم عندهم من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مفتر على الله ، زاعمين أنه لو كان من
الله لأقره وأثبتته ، ولم يطرأ له فيه رأي متجدد حتى ينسخه . .
والدليل على أن قوله : { بدد لنداء آية مكران آية } معناه : نسخنا آية
وأنسيناها قوله تعالى : { ما ننسخ من آية أو ننسها } ، وقوله : {
سننقرئك فلا

